الدعوة الإسلامية

الدور الدعوي لأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أجمعين

د.محمود حافظ عبد الرب مرزا
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة إله آباد

إن الغاية الأسمى من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى هي الدعوة إلى الإسلام، وإبراز محاسنه وأهدافه وسماته وميزاته. ولأجل تحقيق هذا الغرض النبيل يجب على الداعي اتباع الأساليب والطرق المثلى فضلاً عن اختيار المنهج الملائم للدعوة، الذي يراعي أحوال المدعوين، وبالأخص النواحي النفسية والعقلية والاجتماعية والوجدانية، الأمر الذي يعني أنه يجب اختيار الأسلوب الذي تقتضيه الظروف والأوضاع، وعدم اختيار الأسلوب الذي يؤدي إلى الشعور بالملل أو يدعو إلا الاستنفار. ولا مراء في أن رجال الدعوة والفكر كانوا في كل عصر ومصر يتبعون منهجاً قويماً مبنيا على أسس متينة في مجال الدعوة. ومن هذا المنطلق يجب على كل داع اتباع هذا المنهج ومن أهم عناصره ما يلي:

١- الإلمام التام بمنهج الدعوة وأغراضها:

يجب على الداعي الوعي بأهداف وأغراض الدعوة امتثالاً لقوله تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[1]. وبالتالي يجب عليه الإحاطة بمفهوم الدعوة بشكل تام، وتقديم الدلائل والبراهين القاطعة لإثبات أحقية ما يدعو إليه.

٢- التطبيق العملي للدعوة:

يجب أن لا يكون هناك أي تضاد في قول الداعي وعمله، فلا ينبغي عليه أن يدعو الناس وينصحهم على فعل ما لا يقوم به هو بحد ذاته، لأن الدعوة ما لم تبرز في عمل الداعي فإنها لن تجدي شيئا

[1] سورة يوسف: ١٠٨.

ولن يترتب عليها النتائج المرجوة. ومن المؤسف أن العديد من رجال الدعوة ينطبق عليهم هذا الحال. يقول تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون}(١).

٣- الإخلاص في الدعوة:

اتبع الأنبياء عليهم السلام هذا النهج في مجال الدعوة، فكان قولهم دائماً لا يخرج عن نطاق: "إن أجري إلا على الله"، يقول تعالى: {قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا}(٢). وقوله عز من قائل: {قل ما سألتكم من أجر فهو لكم}(٣). فيجب على الداعي الوعي التام بأن العمل الخالص لوجه الله يحظى بتوفيق منه، وهو العمل الذي يعود عليه بالأجر والثواب في الدارين، بإذن الله.

٤- التحلي بالأخلاق الحسنة والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:

يجب على الداعي التمسك بأعلى مكارم الأخلاق والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة حتى وإن كان المدعو ظالماً. وخير مثال لذلك الأنبياء عليهم السلام وعلى رأسهم سيد المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين. فقد كان عطوفاً، رحيماً وكريماً لأقصى درجة، يقول تعالى: {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك}(٤)، وقوله تعالى: {وإنك لعلى خلق عظيم}(٥)، وفي الواقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتبع المنهج المتشدد والصلب في الدعوة، ولكنه كان يدعو الناس بألطف العبارات وأرق الكلمات، ناهيك عن أخلاقه الحسنة حتى كان القلب يميل إلى ما يدعو إليه من تلقاء نفسه، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، ويقول عز من قائل: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إنك ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين}(٦)، وعليه يجب مراعاة قواعد الحكمة أيضاً في

(1) سورة الصف: ٢ – ٣.
(2) سورة الفرقان: ٥٧.
(3) سورة سبأ: ٤٧.
(4) سورة آل عمران:١٥٩.
(5) سورة القلم: ٤.
(6) سورة النحل: ١٢٥.

الدعوة، لأن الرسول لم يرد على القسوة بالقسوة بل كان يجازي السيئة بالحسنة، وكان خير قدوة وأسوة لاتباع أفضل السبل العملية للدعوة.

٥- الصبر والثبات في المصائب:

لقد واجه الأنبياء عليهم السلام مصاعب ومشاكل تفوق الخيال في سبيل الدعوة، بيد أنهم لم يتخلوا عن الصبر والثبات على الحق ولم يتقاعسوا عن مواصلة مهام الدعوة، وكانوا لا يخافون في الله لومة لائم. لذا ينبغي على الداعي عدم التخلي عن واجب الدعوة رغم ما يواجهه من المصاعب، لأن عدم الثبات على الدعوة يؤدي في نهاية المطاف إلى نهايتها. وهكذا، يجب علينا اتباع قول الرسول صلى الله عليه وسلم في كل شيء، حيث يقول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: "قل آمنت بالله ثم استقم".

٦- الأمل وعدم اليأس:

يجب على الداعي أن لا يترك الأمل والرجاء في نشر الدعوة والمضي قدماً فيها، لأنهما من أخلاق الأنبياء عليهم السلام. فقد يواجه الداعي أثناء مهامه الدعوية عدداً من المصاعب ولكن يجب عليه عدم التخلي عن الأمل أو الشعور باليأس والقنوط، وبما أن الأنبياء عليهم السلام هم القدوة والأسوة، لذا ينبغي الاقتداء بهم والسير على منوالهم، فمن الصعب أن يمر أحد منا بما مروا به عليهم السلام. وعليه يجب على المسلم أن يحرص على الأمل في كل جوانب حياته، وليتمسك به تمسكه بالحياة، ولا يستسلم لليأس والقنوط أبداً، لأن الأمل ينمي الطموح والإرادة، واليأس يقتلهما بدون شك.

لا ريب في أن أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن أجمعين قد تركن آثاراً وبصمات واضحة في مجال الدعوة إلى الله أيضا، لأن سيرتهن هي قدوة للجميع، وبالأحرى لنساء المسلمين، ومن خلال السطور القادمة سنسعى إلى إلقاء ضوء على نماذج يسيرة من مساعيهن النبيلة في سبيل الدعوة إلى الله.

أولا: خديجة رضي الله عنها:

لا ريب في أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو سيد الدعاة وقدوتهم، وزوجته

خديجة رضي الله عنها أول من أسلم والداعية المؤمنة الأولى في الإسلام، تقول عائشة رضي الله عنها: "ومكثت (أي خديجة رضي الله عنها) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليان سراً ما شاء الله"([1]).

ولا يخفى على أحد أن الداعي يحتاج إلى تسلية في مهامه الدعوية، ومن هذا المنطلق نرى أن خديجة رضي الله عنها كان لها دور فاعل وإيجابي في تسلية زوجها صلى الله عليه وسلم، فضلاً عن سعيها الدؤوب إلى تثبيته على الأمور وتقوية عزيمته ورفع معنوياته وتأييده ونصرته حتى في أشد الأحوال.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة، جلست إلى فخذها مضيفاً إليها فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فو الله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي، ثم حدثتها بالذي رأيت، فقال: أبشر يا ابن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة..."([2]).

ومما يثبت مدى تفاني أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها في حبها للرسول وسعيها المضني إلى تقوية عزيمته أن هذه العبارات والكلمات قد صدرت منها في الوقت الذي كان فيه أمر الإعراض والإنكار لهذه الرسالة الجديدة أمراً غير مستغرباً، إلا أنها بتأييدها ونصرتها وخاصة في قولها وبلغة واثقة: "كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"([3])، كانت بلسماً شافياً، وعليه فإنه يجب على كل امرأة مقترنة بأي داع الوقوف معه وتثبيته، لأن تثبيت أقرب الناس إليه يسليه ويرفع معنوياته. كما واست خديجة رضي الله عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بمالها أيضا، فقد كانت صاحبة مال تتاجر به وتؤجر الآخرين للاتجار به، وقد ذهب رسول الله صلى

(1) الطبقات: ١٧/٨.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق همام وصعيليك، ٢٠١/١.

(3) صحيح البخاري، بدء الوحي.

الله عليه وسلم قبل البعثة بتجارة لها إلى الشام، وبعد أن تزوجها سخرت مالها في سبيل الله وخدمة الدعوة لدينه، واعترف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الفضل قائلاً: "واستني بمالها إذ حرمني الناس"(١)، ومن مواساتها بالمال أنها حين رأت ميل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زيد بن حارثة رضي الله عنه وكان في ملكها وهبته له فكانت سبباً فيما حازه زيد من السبق للإسلام.

ولقد عانت خديجة رضي الله عنها العديد من المصاعب في سبيل الله، ليس إلا لرضى الله وطواعيتها ومحبتها لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، ومن أمثلة ذلك حصار الشعب الذي امتد إلى ثلاثة أعوام. فلا غرابة أن يعلن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بحبها ويعترف لها بالفضل والسبقة والمؤازرة قائلاً: آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس..."(٢).

وهكذا فإننا في أمس الحاجة هذه الأيام إلى داعية مثلها، وما أكرم المرأة حين تشارك زوجها همومه الدعوية، وتكون عوناً وسنداً له فضلاً عن مؤازرتها له بمالها، فنعم المال الصالح للرجل هي المرأة الصالحة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"(٣).

ثانيا: عائشة رضي الله عنها:

إن تولي المرأة المسلمة مهمة تعليم النساء الإسلام وأحكامه يعتبر جزءا رئيسياً من مهام الدعوة إلى دين الله، حتى تسير حياتهن وفق الأحكام الإلهية، وتقوم النساء بعبادة الله والدعوة إليه على بصيرة تامة. وحسبنا في هذا المقام أن نذكر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قال عطاء بن أبي رباح: "كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة"(٤)، وقال الزهري: "لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل"(٥)، وقال

(1) أحمد بن حنبل، المسند (الفتح الرباني: ٢٤٠/٢٠).
(2) أحمد بن حنبل، المسند (الفتح الرباني: ٢٤٠/٢٠).
(3) صحيح مسلم.
(4) ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٨٣/٤.
(5) الحاكم، المستدرك: ١١/٤.

الذهبي: "أفقه نساء الأمة على الإطلاق"(١)، وقال: "ولا أعلم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها"(٢)، وقال علي رضي الله عنه: "لو كانت امرأة خليفة لكانت عائشة"(٣).

لقد صبرت عائشة رضي الله عنها وتجاوزت محناً عديدة في سبيل الله، منها الفكرية والجسدية، وخير دليل على ذلك، حادثة (الإفك) التي رميت بها، فقد وقعت هذه المحنة عليها شديداً، فبكت الأيام حتى أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم ولكنها صبرت وتجلدت، وكانت تتسلى بصبر الأنبياء عليهم السلام، وتقول: "والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: {فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون}(٤)، فما هذا الصبر والتجلد وما هذا الحزن والهم، فبإمكاننا أن ندرك مداهما من خلال عدم تمكنها من تذكر اسم يعقوب عليه السلام، ولكن الله سبحانه وتعالى أعزها بإنزال براءتها من السماء في قرآن يتلى إلى يوم القيامة. وعليه يجب على المسلمة أن تتحلى بالصبر واليقين إبان وقوعها في مثل هذه المحن سواء في دينها أو عرضها، أسوة بأم المؤمنين رضي الله عنها.(٥)

ولا ريب في أن عائشة رضي الله عنها هي مفخرة النساء في الإسلام، وهي العالمة الجليلة التي أفاضت من علمها على الناس عامة مع أن النصيب الأوفر كان للنساء من ذلك. ومن أمثلة ذلك، عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل قائلاً: خذي فرصة من مسك فتطهري بها، قالت: كيف أتطهر؟ قال: تطهري بها، قالت: كيف؟ قال: سبحان الله تطهري، (تقول عائشة) فاجتذبتها إلي فقلت: تتبعي أثر الدم، وفي رواية أخرى:

(1) سير أعلام النبلاء: ٢/١٣٥.
(2) سير أعلام النبلاء: ٢/١٤٠.
(3) الكتاني، التراتيب الإدارية: ٢/٤٣٤.
(4) سورة يوسف: ١٨.
(5) سليمان بن حمد العودة، المرأة والدعوة في عصر النبوة، ص ٥٢ – ٥٣.

فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي صلى الله عليه وسلم.([1])، وفي رواية أخرى، جاء أن حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر دخلت على عائشة رضي الله عنها وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها، فشقته عائشة عليها وقالت: "أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها"([2])، ومن خلال تتبع أسلوب دعوة عائشة رضي الله عنها يتضح أنها كانت تنصح وتعظ موعظة حسنة أيضاً، روى يزيد بن الأصم قال: تلقيت عائشة رضي الله عنها وهي مقبلة من مكة، أنا وابن طلحة بن عبيد الله وهو ابن أختها، وقد كنا وقعنا في حائط من حيطان المدينة فأصبنا منه فبلغها ذلك فأقبلت على ابن أختها تلومه وتعذله، وأقبلت علي فوعظتني موعظة بليغة ثم قالت: "أما علمت أن الله ساقك حتى جعلك في أهل بيت نبيه، ذهبت والله ميمونة ورمي برسنك على غاربك، أما إنها كانت من أتقانا لله عز وجل وأوصلنا للرحم"([3]).

كما أنها كانت تحتسب المرأة في لباسها وفي حشمتها وحيائها أيضاً، فقد روى الإمام أحمد عن أم عبد الرحمن أدينة قالت: كنا نطوف بالبيت مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فرأت على امرأة برداً فيه تصليب فقالت عائشة رضي الله عنها: "اطرحيه اطرحيه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى نحو هذا قضبه"([4]).

ومن هذا المنطلق، نجد أن للتعليم دورا بارزا في الدعوة والتوجيه والإرشاد، ولا يستفيد منه المدعو إلا بعد أن يبدأ بتطبيقه في حياته اليومية، وبالتالي فإن منهج الداعي يجب أن يتمثل في تعليم المدعو النهج الصحيح مما يجمع العلم والعمل معاً. ومن خلال الروايات السالفة الذكر، يتضح لنا أن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قد استطاعت بفضل

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الحيض ح ٣١٥ – ٣١٦.
(2) الطبقات الكبرى، ٧٢/٨.
(3) الحاكم، المستدرك، ٣٢/٤.
(4) الإمام أحمد، المسند: ١٤٠/٦.

علمها وذكائها وقوة ذاكرتها أن تعزز عمل الدعوة إلى اللّه، فكانت بذلك قدوة للنساء، لأنها كانت تجيد العلوم والمعارف الدينية وغيرها مثل التاريخ والأدب والطب، وكان لها اليد الطولى في ذلك. ومن المؤكد أنها قد أخذت العلوم عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم حتى قال الرسول: "خذوا شطر دينكم عن الحميراء" (١). وهكذا كانت عائشة رضي اللّه عنها من بعد الرسول صلى اللّه عليه وسلم أول مرجع يرجع إليه المسلمون في كل ما يغلق عليهم فهمه من أمر دينهم وكل ما يستعصي عليهم إدراكه من واجبات الإسلام.

ثالثا: أم حبيبة رضي الله عنها:

لقد تركت أم حبيبة رضي اللّه عنها أمثلة عديدة في مجال الثبات على الحق. فقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها، الذي ارتد واختار المسيحية ديناً له، حتى توفي هناك، ولكنها ظلت ثابتة على الإسلام بكل عزيمة وإصرار. وتقول أم حبيبة رضي اللّه عنها: أنها رأت زوجها في الحلم وهو في أسوأ صورة وعلى أبشع خلقة فهبت من نومها وقد أخذها الرعب واستبد بها الفزع وأخذت تفكر فيما رأته من رؤيا، فلما أصبحت إذ بزوجها يعلن ارتداده عن الإسلام واعتناقه النصرانية. ومع ذلك فإنها دعته ثانية للحق وأخبرته بسوء عاقبة الردة، ثم خوفته بالرؤيا التي رأتها عساه أن يعود إلى رشده ويتخلى عن عزمه، ولكن هيهات هيهات، فقد حاولت بوسعها ولكن دون جدوى(٢).

ومما يلفت الانتباه أثر أم حبيبة رضي اللّه عنها على إحدى خادمات النجاشي ألا وهي "أبرهة"، حيث أعطتها سوارين من فضة وخدمتين كانتا في رجلها وخواتم فضة كانت في أصابع رجليها إبان بلوغها خبر رغبة الرسول صلى اللّه عليه وسلم بالزواج بها، فضلاً عن إرسال شيء من المهر بعد وصولها إليها ولكنها ردتها قائلة: قد اتبعت دين محمد وأسلمت للّه(٣). وإذا كان محتملاً أن يكون إسلام أبرهة عن طريق

---

(1) السيرة النبوية، ١٣٧/٢.

(2) الطبقات، ٩٧/٨.

(3) ابن سعد، الطبقات، ٩٧/٨- ٩٨.

النجاشي، فالاحتمال الآخر أن يكون عن طريق أم حبيبة ،فلا شك أن حسن المعاملة وإعطاء الهدية والتلطف في القول والاعتذار بأدب عن من قدم الجميل، كل هذه مفردات مهمة في الدعوة إلى الله وربما كان لها من الأثر أعظم من موعظة عابرة أو كلمة خاطفة([1]).

فهل تدعو المرأة المعاصرة بحسن سلوكها وأخلاقها الحسنة مثل ما تدعو بكلامها... لا سيما في مثل هذا الزمن الذي أصبح يفتقر إلى مثل هذه السلوكيات... فما أحوجنا إلى مثل هذا السلوك في الدعوة لما له من الأثر البليغ.

لقد مرت أم حبيبة رضي الله عنها بظروف مختلفة منها أنها أسلمت وأبوها كان لا يزال على الشرك وهو سيد القوم، فواجهت مخالفته، فضلاً عما عانته خلال هجرتها إلى الحبشة بعد ارتداد زوجها، ومع كل هذا وذاك، ظلت متمسكة بدينها متحلية بالصبر والثبات على الحق في كافة الأزمات والمحن، وبالتالي كانت خليقة بالمكافأة، ولعل زواج النبي صلى الله عليه وسلم بها بعد ذلك يعد مكافأة لثباتها وتثميناً لموقفها([2]).

ومن الأجدر هنا الإشارة إلى قصة وفادة أبي سفيان على ابنته أم حبيبة رضي الله عنها في المدينة المنورة للتأكيد على عقد هدنة الحديبية، فمنعته من الجلوس على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم وأسرعت تطويه وتقول له: "هذا فراش رسول الله، وأنت رجل مشرك، فلا أحب أن تجلس عليه"([3]). فهذا مثال آخر للصبر والتجلد، وكيف أنها لم تستطع أن تلقى والدها كما تلقى الابنة أباها بعد طول غياب، يدخل دارها فلا تقدر أن تكرمه وترحب به، لأن شركه قد حال بينها وبينه، لتتجه بقلبها وروحها إلى الله تطلب منه وتبهل إليه أن يهدي أباها بهدي الإيمان وينعم عليه بنعمة الإسلام، فقبلها ربها بقبول حسن وأنعم عليه بنعمة الإسلام.

رابعا : أم سلمة رضي الله عنها :

إن هجرة أم سلمة رضي الله عنها إلى المدينة وما صادفها من مشاكل

(1) المرأة والدعوة في عصر النبوة، ص ٥٠.

(2) المصدر السابق ، ص ١٩.

(3) سيرة ابن هشام، ٣٩٩/٢.

ومصاعب لهو خير دليل على صبرها وقوة عزيمتها وعلو همتها وعظيم تضحيتها، حيث وصل أمر هجرتها إلى خلع يد طفلها حين تنازع فيه أهلها وأهل زوجها وفرق بينها وبين زوجها، حتى ظلت قرابة سنة تخرج إلى الأبطح فتظل تبكي حتى تمسي، إلى أن رق لحالها من ليس على دينها فأذن لها قومها بالهجرة فلحقت بزوجها. حيث عبرت عن ذلك قائلة: "واللّه ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة"(١).

وحسبنا ما ثبت أنها هي التي أشارت على النبي صلى اللّه عليه وسلم أن ينحر بهديه ويحلق رأسه أثناء صلح الحديبية، وذلك حين تأخر أصحابه رضوان اللّه عليهم أجمعين عن النحر والحلق، فلما فعل ذلك قام الناس إلى هديهم ينحرونها وسارعوا يحلق بعضهم لبعض. فكان لذكاء أم سلمة رضي اللّه عنها وتصرفها الجميل وحسن سياستها في تقديم هذا الرأي الصائب شأن هام، حتى قال إمام الحرمين: "لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة"(٢)، الأمر الذي إن دل على شيء فإنه يدل على فضلها رضي اللّه عنها وحسن تصرفها ووفور عقلها.

خامساً: زينب بنت جحش رضي الله عنها:

طالما تم التحدث عن نفقات النساء وصدقاتهن، فلا بد أن يأتي ذكر سيدتنا زينب بنت جحش رضي اللّه عنها فهي الأخرى بعد خديجة رضي اللّه عنها، لأنها كانت صاحبة اليد الطولى في الصدقة، فحسبنا ما قال عنها الرسول صلى اللّه عليه وسلم: "أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً". قالت عائشة رضي اللّه عنها: "وكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد النبي صلى اللّه عليه وسلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول، وكانت (زينب) امرأة قصيرة، فلما توفيت عرفنا حينئذ أنه إنما أراد بطول اليد الصدقة"(٣). وهكذا، فإنها كانت تسمى بأم المساكين.

ولها موقف آخر مشرق في كمال التسليم لأمر رسول اللّه صلى اللّه عليه

(1) السيرة النبوية، ٢١٦/٢.

(2) الإصابة، ٢٢٤/١٣.

(3) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٠٨ – ١١٤.

وسلم، وذلك في قصة زواجها من زيد بن حارثة رضي الله عنه، لأنها لم تكن في بادئ الأمر راضية به، ولكنها وافقت عليه إدراكاً منها أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق كل اعتبار.

كما نجد أن رواية أمهات المؤمنين للأحاديث يدخل ضمن دائرة الدعوة إلى الله أيضاً لأنهن قمن بنقل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبليغها للناس. فسودة رضي الله عنها روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أحاديث، وكذا عائشة رضي الله عنها فقد روت علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ويبلغ مسندها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، أما حفصة رضي الله عنها فقد نقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين حديثاً، ولزينب بنت جحش رضي الله عنها أحد عشر حديثاً، وجويرية بنت الحارث رضي الله عنها روت ثلاثة أحاديث، ولميمونة رضي الله عنها ثلاثة عشر حديثاً، وممن أكثرن من الرواية عن رسول الله أم سلمة رضي الله عنها، إذ روت عنه ثلاث مائة حديث وثمانية وسبعين حديثاً[1].

حقاً، لعبت أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن أجمعين دوراً كبيراً في الدعوة إلى الله عز وجل، وقمن بجهود مشكورة في الدعوة السرية والعلنية، وشاركن في الهجرة والتربية كما شاركن بمالهن وعلمهن، آنسن وثبتن، صبرن واحتسبن، دافعن عن عرض الصالحين ودفعن مكر المجرمين، وفي ذلك دعوة للمرأة المعاصرة لممارسة الدعوة في كافة الجوانب والآليات الممكنة للمرأة. فعلينا أن نفكر ملياً ونسعى جاهدين إلى اختيار الطرق المثلى في ممارسة الدعوة، وبالتالي ممارسة الدعوة بالكلمة والهدية والتلطف بالقول أيضاً.

إن هدف الدعوة إلى الله هو ترغيب الناس في عبادة الله وعدم التفاني في لذات الدنيا ونعيمها، والجهد المضني في كسب رضا الرحمن، فعندما تتبدل القلوب تصبح المكاسب الإنسانية هينة لا

(1) د. زلفي أحمد محمد الخراط، منهج أمهات المؤمنين في الدعوة، شبكة الألوكة، ص٣.

قيمة لها لدى الإنسان. فالقلب هو المحور الرئيسي في جسم الإنسان، وهو منبع الإيمان، لذا يجب على الإنسان التمسك بزمام الدعوة، واتباع مناهج مختلفة للتأثير على القلوب بأفضل الطرق والوسائل، فبعد تغير القلب يتغير الإنسان، وبالتالي تتغير أطواره، وعندما يصبح القلب منقاداً لأوامر الرحمن فإن المعتقدات تبدأ في التغير رويداً رويداً. وفي الواقع فإن الانقلاب لا يقع إلا عن طريق تغير القلوب والأذهان.

وهكذا، لم تكن دعوة أمهات المؤمنين مقتصرة على النصائح والمواعظ فحسب، بل كان القول والعمل يسيران جنبا بجنب، فضلاً عن حرصهن الشديد على أن تشمل دعوتهن جميع الشرائح والطبقات. فلا ريب في أن أمهات المؤمنين لعبن دوراً بارزاً في مجال الدعوة وقدمن أمثلة فريدة، فضلاً عن تطبيقهن لها في حياتهن العملية، مما جعل حياتهن الطيبة قدوة وأسوة للجميع.

ولكن الواقع المر هذه الأيام، هو أن انحطاط المسلمين يعود إلى تخليهم عن مآثر أسلافهم ومشاهيرهم، وسعيهم إلى اتباع غيرهم وتقليدهم في كل شيء. ومن المؤسف أن العديد من أبناء البلاد وحتى المثقفين - على حد زعمهم - لا يلمون بل لا يعرفون حتى أبسط الأشياء عن سير الأنبياء عليهم السلام، وأمهات المؤمنين والصحابة والصحابيات رضوان الله عليهم أجمعين، ومآثرهم وخدماتهم في شتى مجالات الحياة، إلا ما شاء الله. لذا يجب على كل فرد من الأمة الإسلامية السعي إلى حث أبناء الإسلام وغيرهم على الإلمام التام بالعقائد والعلوم الإسلامية، فمسؤولية الدعوة تقع على عاتق الجميع، وعلينا أن نسعى ونكافح لذلك امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية" و "ليبلغ الشاهد الغائب"، فهي مسؤولية الجميع ومن هدي النبوة. والله على ما نقول وكيل...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❖❖❖